الفصل الرابع

الأسرة وتنمية الابتكار لدى الأبناء

عرفنا الابتكار وخصائصه والتي تتمثل في تخلص الأفراد من الأنماط التقليدية في التفكير والتعامل مع الأشياء والمواقف بمنظور جديد غير مألوف والقيام بحلول متميزة للمشكلات تختلف عن الحلول السابقة واصطباغ الحلول الإبداعية المبتكرة المقدمة بعدم الشيوع من جانب والملائمة من جانب آخر ، ولهذا فإن القليل منا مبتكرون والكثير منا مقلدون ، والقليل منا مبدع أو مخترع والكثير متلق متبع ، ولكن يمكن أن يكون كل أبنائنا مبتكرين .. وكل الأطفال مبدعين لأن لديهم سمات الابتكار والإبداع ، ولكن كيف يتحقق ذلك؟ ..

يكون بالطبع عن طريق الأسرة أولا والمدرسة ثانيا والإعلام ثالثا .. ويمكن أن يؤثر الإعلام من خلال العملية التعليمية ، ولكن الأسرة دورها يكون حيويا وهاما لأن الأطفال يملكون إمكانية الابتكار والاكتشاف والأسرة يكون عليها أن تساعد الطفل على إظهار القدرات الإبتكارية التي تتمثل – كما رأينا – في خمس قدرات هي : الطلاقة الفكرية ، والأصالة ، والمرونة الفكرية ، والحساسية للمشكلات ، والاحتفاظ بالاتجاه ويلعب المناخ الأسري دورا هاما فى تنمية قدرات الطفل حيث يحقق له أهم مطالب النمو النفسي والاجتماعي(٢٨أ/٤٥) .

وسوف نناقش هنا دور الأسرة في تربية التفكير الابتكاري لدى الأبناء وتنمية القدرات الابتكارية لديهم من خلال ما يلي :

١ـ البيئة الأسرية والتفكير الابتكاري لدى الأطفال :

البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الفرد وفيه ينمو وفيه يحيا وفق نظام اجتماعي معين ، ويتأثر الفرد أول ما يتأثر بالبيئة الأسرية أو العائلية لأنها النظام والإطار الاجتماعي الذي يولد فيه الفرد وينمو حتى يصل إلى سن رياض الأطفال أو سن المدرسة .

فالأسرة هي الوسيط الأول للتنشئة الاجتماعية ، ونموذج التنشئة الأسرية هو الذي يشـــجع على إبراز التفكير الإبداعي عند الأبناء وتتكون الأسرة من الأب والأم والإخوة والأخـــوات ، بالإضـــافة إلى الأجداد والأحفـــاد إن وجدوا ، ولكل منهم نمط للتفكير الإبداعي الابتكاري ، ويرتكز تبني الأسرة للتفكير الابتكاري على متطلبات متعددة تتأثر بهـــا الأسرة ويتأثر بها الأفراد وتنعكس على الأطفـــال داخل هذه الأسرة ، ومن هـــذه المتطلبات : (٥٨ / ١٤٢-١٤٣)

– أن التفكير الابتكاري ليس هو الذكاء أو التفـــوق ولكنه حســـن التعامـــل مع الأمور ، أي الجدة مع الملاءمة .

– لكل فرد من الأفراد قدرة معينـــة على التفكير الابتكاري ، والفرق بين شخص وآخـــر يكـــون في درجة هذا التفكير فقط ، فالابتكار ما هو إلا أسلوب تفكير ، ويوجد عـــند كل الناس بدرجات متفاوتة ، والمهم أن يتم تنمية هذا الأسلوب من أجل اكتساب الطفل التفكير الإبداعي والابتكاري وتنميته عنده .

– أن التفكير الإبداعي الابتكاري مثل أي تفكير آخر ، و يتحدد من خلال عوامل مـــتعـــددة منها العوامل المعـــرفية وأيضا الوجدانية والمزاجية ، كما أن هنـــاك العوامل الاجتماعـــية التي تؤثر في هـــذا التفكير ، وفي هـــذا المجال يجب على الآباء أن يفكروا في هندسة المحيط الأسري بشكل يساعد على تنمية التفكير الإبداعي .

– لابد أن يتخلص أفراد الأسرة من عقدة « الألفة » أي لابد أن يقبلوا على ما هو غـــير مألوف لهم ويفكروا على نحو غير شائع قدر تفكيرهم بما هو شائع ، فلابد من تعليم الأطفال قبول عدم الشيوع مادام لا يختلف في النهاية مع قيم المجتمع وأهدافه ، ولابد من التسليم بأن « هناك وجها آخر للحقيقة دائما » .

– لابـــد أن تتقبل الأسرة كل مخرجات التفكير الإبداعي والابتكاري لأبنائها ، حتى لـــو أثر على مجالات أخرى داخل الأسرة وداخل المجتمع ، فلا نمو ولا تطور إلا بالتفكير الابتكاري .

– أن تشكيل القدرات الابتكارية لابد وأن يبدأ مبكرا حتى يتم توظيف الإمكانيات في أقصى حد لها .

كـــل ذلـــك يضفي على البيئة الأســـرية أهمية خاصة ودورا في غاية الأهمية لتربية الأطفال تربية إبداعية ابتكارية (٧٦ / ١٠٤-١٠٥) .

فالبيـــئة الأســـرية تسهم بقوة وتســـاعد بفاعلية على تنميـــة التفكير الابتكـــاري والإبداعي عند الأطفال من خلال ما يلي : (٥٨ / ١٢٤- ١٢٥)

- أنـــه الإطار البيئي الذي يعيش فيه الفرد يرسم طابع سلوكه وحدود حركته حتى لو كان مهيأ لسلوك أبعد مدى وحدود أكبر منه وأكثر اتساعا .

- للخـــبرات المبكرة تأثيرها على الفرد إلى حد ينعكس أثره على الخبرات اللاحقة حتى لو حملت هذه الخبرات الجديدة إمكانية مختلفة للسلوك .

ومـــن هـــنا فإن للبيئة الأسرية دورا هاما في التأثير على التفكير الابتكاري للأطفال وتنمية هذا التفكير وإبراز القدرات والإمكانيات الإبداعية للأطفال .

٢ - دور الوالدين في تنمية الابتكارية لدى أطفالهم :

الأســـرة مـــن أهم وسائط تنشئة الأطفال ، بما يقدمه الوالدان ويوفرانه من أسباب النمو للقيم الخلقية والوطنية والمدنية والدينية لدى الطفل .

فـــالأم تؤثر بشدة في تنمية الابتكارية لدى الأطفـــال ، لأن الأم الرؤوم ذات الطبع المســـتقر تولد لدى الطفل شـــعورا بالأمن والطمأنينة ، ويكون منطلقا لشـــعوره المقبل بالاستقلال ، إنها تؤكد استقلاله عن طريق الحماية التي يقدمه له عطفها وحنانها ، وعندما تكـــون العلاقـــة بينه وبين أمه خالية من كل قلق ، وعندما يتقبل الطفل قيم العائلة قبولا حســـنا وسليما تصبح نزعاته الاســـتقلالية وروح المعارضة عنده من أهم العوامل في نمو شخصيته (٤٧ / ٢٩) ..

وتغدو الأم ، فيما بعد ، عونا لطفلها على تطوير قدراته وعلى اكتساب القيم وعلى توليد معايير القيم الخاصة به ، ومن المفترض أن تعي الأم كيف تسهم إسهامات العائلة في النمو الفكري والعاطفي والإبداعي والابتكاري للطفل عن طريق تجويد البيئة العائلية التي يحـــيا فيها الطفل ، وهو تعلم غير مباشر ، كما يجب على الأم أن توظف الأسرة في النمو الفكـــري للطفل عن طريق تقديم العـــوامل المهيأة للابتكار وذلك بإيقاظ المجرى الطبيعي للنمو لدى الطفل وتوجيهه ودفعه إلى الأمام .

أمـــا الآباء ، فلابد أن يكونوا قادرين على رعاية أبنائهم رعاية صـــادرة عن معرفة بحاجات نمو الطفل ، وذلك عن طريق رعاية النشـــاطات المبدعة والتي تســـاعد على نمو الابـــتكارية في نفـــوس أبنائهم ، فالنشـــاطات الابتكارية التي يساعد فيها الأب عديدة ، مـــنها توفـــير الوســـائل المخـــتلفة التي تســـاعد على هذه الأنشـــطة من الرسم وجمع المكعـــبات واســـتخدام الصلصال والإمساك بالريشة والقلم .. إلخ من أنواع اللعب ، وكذلك تنمية روح القصد والغاية عند الأطفـــال ، واللعب معهم ، والاهتمام بالجوانب الإيجابـــية لـــدى الأطفـــال ، فإذا اتسم الآباء بالمرونة في ممارســـة أدوارهم الاجتماعية ومشـــاركة الأبـــناء في اهـــتمـــاماتهم وتشـــجيعهم على ممارســـة مواهبهم وإبداعاتهم وتفكيرهم اتســـم الأطفال بالابتكارية .

ولقد بينت الدراســـات التجريبية أن آباء المبدعين يمثلون عامـــلا حاسما في أدائهم الإبداعـــي من حيث كونهم نماذج للتوحـــد معهم ومن حيث اســـتثارتهم لمواهب أبنائهم ومحاولة تنمية هذه المواهب ، كما أن تصـــرفات الآباء والأمهات كما يتلقاها الأبناء أهم العناصر في تشكيل ســـلوكهم بوجه عام وسلوكهم المعرفي والإبداعي بوجه خاص وذلك مـــن خلال تعليمـــات الآباء اللفظية ، وهذه التصـــرفات أهم من الأماني اللفظية للآباء والأمهات (١٢/٣٤، ٤٧) .

ولابـــد أن تساعد الظروف الأسرية المناسبة (واتساقها النفسي والاجتماعي) على تنمـــية السلوك الابتكاري عند الأطفـــال ، والذي يتجلى فيه تعبير الشخص عن نفســـه بتلقائية تخلو من الاتباعية للمعايير السائدة في النظر إلى موضوع ابتكاره أو إبداعه ، كما لابـــد وأن تخلو من القهر على المحاكاة ،، فاصطباغ الجو الأسري بالأمان والتشجيع على المبادأة يســـاعد على نمو الابتكار والإبداع لدى الأبنـــاء ، ولهذا نجد ملامح ذلك الأمر في تقـــاريـــر من المبدعين عن معـــاملة آبائهم لهم (١٢٩/٣٤) حيث ذكر بعض المبدعين والمبتكرين أنهم كانوا يتمتعون أثناء تنشـــئتهم الاجتماعية بقدر كبير من الحرية في اتخـــاذ القرارات واكتشاف بيئتهم ، وأنهم لم يتعرضوا لحماية زائدة أو لرفض من الوالدين ، هذا في نفـــس الوقت الذي وضع فيه الوالدان مســـتوى محددا للســـلوك والقيم وكانا مثالا للـــتوحـــد مع أبنائهما ، كما كانا يحترمان هؤلاء الأبنـــاء احتراما غير عادي ويثقان في

قدرتهـــم على العمل بالطريقة الملائمة ، بينما أثبتت دراسات أخري عن العلماء المخترعين أن عـــلمـــاء الطبيعة والبيولوجيا المبدعين يشـــعرون باحترام حقيقي لآبائهم وإن كانوا لا يرتبطون بهم وجدانيا بينما يرتبطون وجدانيا بأمهاتهم ، فمرونة الأسرة (آباء وأمهات) في الســـماح لأبنائها بالقيام بأي نوع من أنواع النشـــاط الاستكشافي العقلي أو اليدوي وعدم تصلبها في منع هذا النشاط لها تأثير كبير في تنمية وتشجيع الإبداع والابتكار لدى الأبناء، وبالعكس ، فإن إكراه الأم لابنها يرتبط ارتباطا سالبا بدرجات الإبداع وبالسلوك الابتكاري للأبناء والذي يتضمن بالضرورة عناصر الإنجاز الإبداعي أو الابتكاري .

وفي نفس الاتجاه ، أوضحت الدراسات تميز أمهات الأبناء مرتفعي الإبداع بالسماح لأبـــنائهن في سن أكثر تبكيرا بنوع من الاســـتقلال والسلوك الاستكشافي وحرية اتخاذ القـــرارات في تصرفاتهم داخل المنـــزل أو خارجه ، كما أن هؤلاء الأمهات كن يسمحن لأبنائهن ،أكثر من باقي الأمهات،باستكشاف الطعام قبل تصحيح محاولتهم بطريقة فعالة ، كما أنهن ، مع أمهات متوسطي الإبداع ،يسمحن لأبنائهن بالتفكير (في سن أكثر تبكيرا) في مجـــال العمـــل الذي يؤدونه عند رشدهم ، كما أثبتت دراسة أخري (١٣١/٣٤) أن اســـتقلال الأولاد عن آراء الآباء والأمهات يؤدي للإبداع والابتكار والاختراع ، وهذا يـــتحقق مع قدر متوسط من العلاقات الوجدانية مع الوالدين ، وأن الأكثرين إبداعا قد وصفوا آباءهم بأنهم أقل ميلا إلى التسلطية والضبط والقهـــر ، كما وصفوا أمهاتهم بأنهن أقـــل في التباعد العدائي والقهر والضبط وأقل في العقاب الرمزي والعقاب البدني المباشر والضـــبط العـــدواني ، وأثبتـــت هذه الدراسة أيضا أن بعد الاستقلال والضبط هو أكثر المقايـــيس المســـتخدمة اتصـــالا بالابتكار ،وأن العلاقة بالأب كما يدركها الأبناء في بعد الاستقلال والضبط أكثر من العلاقة بالأم اتصالا بالإبداع العلمي المبكر ، كما يميل عدد أكـــبر من الطلبة الأكثر إبداعا إلى ذكر أنواع العلاقات الأقل سلبية وليس الأكثر إيجابية مع الأم .

وإذا كـــان للوالدين دور أساسي في تنمية الابتكارية لدى أطفالهم ، فلابد أن يتمتع الوالدان بالابتكارية أو على الأقل بالتفكير الابتكاري ، ولذلك لابد أن يشاركوا أطفالهم أنشـــطتهـــم التفكيرية والابتكارية ، ولا مانـــع من تربية الوالدين وإكسابهما المهـــارات

الابتكارية ذات الصلة بنمو الطفل مثل الابتكارية في تعليم القراءة والكتابة والابتكارية في تعلـــيم بعض المهارات والابتكارية في نمو الأطفال ، كما يمكن إشراك الوالدين أو أحدهما في الأنشـــطة التربوية النظامية لرياض الأطفال حتى يكتسبا مهارات تنمية الابتكارية عند أطفالهما .

كما يجب ملاحظة أن دور الأبوين في تنمية أطفالهم لا يتضاءل بمجرد دخول الأبناء المدرسة ، بل يستمر هذا الدور وبكثافة في تحقيق التوازن الأمني والنفسي للطفل مع البيئة الخارجية والمؤثرات المختلفة التي يتعرض لها الطفل سواء أكانت إعلامية أو تربوية أو من جماعات الرفاق .

فالســـمات الشخصية للوالدين من أهـــم العـــوامل التي تنمي مهـــارات السلوك الابـــتكاري لـــدى الأطفـــال وتأكيد الاتجاهات التي تساعد على نمو القدرات الابتكارية عـــندهم ، كمـــا أن نـــوع العلاقات التي تسود بين أفراد الأسرة وأساليب التعامل مع الأطفـــال وتربيـــتهم والجـــو الـــذي تهيئه الأسرة لهم يساعد على شحذ طاقات الأبناء الابـــتكارية وتنميتها في مجالات الإبداع المختلفة في الفنون والآداب والعلوم (٣٣ / ١٥ وما بعدها) .

والسمات الشخصية للوالدين تساهم في نمو الابتكارية عن طريق تدعيـــم الصفات الإيجابية عند الآباء وتشمل : (٤٧ / ٧٤)

- تفتح الذهن .
- القدرة على التكيف .
- البعد عن التزمت .
- عدم التسلط .
- القدرة على تناول وجهات النظر المتعددة .
- القدرة على منح الطفل الاستقلالية .

فواجب الآباء والأمهات تشجيع أطفالهم على اللعب سواء التمثيلي أو الدرامي أو الإيهامي لأنه المقدمة المرحلية للتفكير الابتكاري ، وخلق الفرص المناسبة للعب والتخيل وحرية التعبير وإشاعة الثقة بالنفس والتقدير لمثل هذه الأنشطة الابتكارية .

ويجب أن نعرف أن الطفل لا يقلد أولا إلا أبويه ، فالطفل يتخذ من أبيه وأمه قدوة له طوال حياته ، ويتمثل أفعالهما أمامه دائما في كل مراحل نموه ، ولذلك فإن كان الأب مبتكرا كلما كان الطفل أكثر قدرة على الابتكار ، كما أن انتقال الخبرة من الآباء والأمهات للأبناء هام جدا وصورة طبيعية لدور الآباء والأمهات لتواصل الأجيال ، ومن ثم فإن المثل يقول (من شابه أباه فما ظلم) وكما يقول الشاعر (٣٣ / ٨٤-٨٥) :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

ففاقد الشيء لا يعطيه ، والأب والأم عندما يكون لديهما التفكير الابتكاري والإبداعي ينقلانه بسهولة لأبنائهما ..

ويتضح كذلك أن الأطفال يقلدون آباءهم لشعورهم أن آباءهم أقوى وأعقل وأذكى الأشخاص في العالم وأن آباءهم يتمتعون بالحكمة والقوة والقدرة على فعل أي شئ والابتكار الدائم .

٣ ـ أساليب التنشئة الأسرية وتنمية الابتكارية عند الأطفال :

الطفل ينمو منذ مولده داخل الأسرة ويعيش طفولته المبكرة بالكامل داخل الأسرة ، وفي عمر عامين يتساءل عن الأشياء وأسمائها ، ويحاول أن يقلد الأصوات ، ويتعلم من الخبرات المباشرة ويرتقي بفكره وبنفسه وينمو بجسده وعقله وإبداعه وابتكاره ، ولذلك فإنه يتأثر بأسلوب تعامل الأبوين مع أبنائهما ومده بالخبرات الملائمة للارتقاء بالأطفال .

ومن أساليب التنشئة الأسرية : التوازن بين إنماء قدرات الأطفال الإبداعية والابتكارية والفكرية مع التنشئة الاجتماعية للطفل على القيم والعادات والتقاليد ، وذلك وفق منهج التعامل مع الأبناء الذي يقوم على السماحة ، أي الجمع بين دفء العلاقة والتوجيه ، والتشدد وعدم الاتساق ، لأن اتسام أسلوب التنشئة لدى الأبوين بأي درجة من التسلطية وأقل درجة من التضييق على الطفل والتشجيع على الاستقلال

يساهم ذلك بشدة في تفاعل الأبناء بالابتكارية والإبداع ، فاحترام الأبناء كذوات متميزة والثقة فيهم وفي إمكانياتهم يسبب تنمية الإبداع والابتكار .

ونستطيع أن نجمل عناصر أساليب التنشئة الأسرية التي تساعد على تنمية الابتكارية لدى الأطفال فيما يلي : (٥٨ / ١٢٧-١٢٨)

- إعطاء الأبوين لأبنائهما قدرا كبيرا من وقتهما وجهدهما لرعاية مواهب الأبناء منذ الطفولة المبكرة ، وذلك بإحاطتهم بكل ما ينمي مواهبهم ويصقلها .

- إتباع أسلوب التربية الذي يأخذ صورة التوجيه وليس الضغط ، والترشيد وليس السيطرة ، فضلا عن تخليق الاتساق في حياة الطفل ، لكي تنمو لديه فكرة أن بإمكانه التنبؤ بالعالم المحيط به ، ومن ثم معالجة هذا العالم والتحكم فيه .

- تقبل المقارنة من جانب الأبناء ، وعدم الاستحسان المطلق للتقليد والمجاراة ، فالطفل وهو يفصح عن إبداعاته يختلف بالضرورة عن أقرانه في أسلوب تفكيرهم ، وكثير من الآباء يضيق بهذه المقارنة ، غافلين عن حقيقة اختلاف كل طفل عن الآخر ، ولو صرنا جميعا صورة واحدة من بعضنا البعض ما صار هناك إبداع في هذا العالم.

- إعطاء الأطفال قدرا كبيرا من الاستقلال ، سواء في ممارسة الهوايات والاهتمامات ، أو في تكوين رؤى خاصة بهم والتي تأتي نتيجة التفكير ، فليس مفترضا تحديد كل جوانب الكيفية التي يتعامل بها الطفل مع موضوعات اهتمامه إلا عندما نمارس اللعب معه ونوجهه قليلا في إطار الاهتمام بما يفعل الطفل .

- الثقة في الطفل وإمكانياته والتعامل معه على أن له شخصية قادرة على الاستبصار والمشاركة في مواقف الحياة المختلفة ، ويتم ذلك من خلال النقاش مع الطفل فيما يثيره من موضوعات مختلفة ، والتي كثيرا ما يضيق بها الآباء ...

فهذه الوسيلة تساعد الطفل في أن يكون قادرا على أن يحدد الوسيلة التي يحقق بها ذاته .

- معرفة الأسرة أن الفكرة الصغيرة مقدمة للفكرة الكبيرة ، فإذا لاحظ الأب أو الأم أو الأخ أن اهتمام أحد ما من أفرد الأسرة بعمل ما يدعوه لأداء ما يفوق المطلوب لهذا العمل ، كان هذا دليلا على أن هذا الفرد متجه نحو الخلق والابتكار ، فكم

مـــن فكرة صغيرة خلاقة – حتى لو كانت في مشكلة من المشكلات البسيطة مثل طريقة مخالفـــة لمـــا في الكتاب للوصول إلى إجابة مسألة صحيحة – تطبق في ميدان من ميادين الاهتمام ، وتقود الفكرة نحو الخلق والابتكار .

– ومن الضروري للأسرة أن تهيئ لصاحب الفكرة الابتكارية ظروفا خاصة تساعده على التفكير المجزي ، وهذه الظـــروف التي توفرها الأســـرة تهيئ للمبتكر أجـــود أنواع الـــتفكير أو الاختراع أو الابتكار أو الإبداع ، فبعض المبتكرين يكون عملهم في الصباح أحسن ما يكون وآخرون يكون عملهم في المساء أجود ما يكون .

– لابـــد أن تدرك الأسرة أنه كثيرا ما يكون الابتداء صعبا وخصوصا عندما يكون موضـــوع الابتكار أصيلا وفريدا ، وما التشابهات والملابسات فيما بين الأفكار والأشياء إلا بذور للاختراع والابتكار .

– يجب على الأســـرة معـــرفة أن المبتكر يجب أن يدرب نفســـه على الاستطلاع والبحث عن الأسباب والمسببـــات ، فالطفل الذي يداوم الاستفســـار والسؤال : (لماذا) لكل ما يحيط به من أشياء يصل للابتكار حتما عندما يكبر ٠(٢٥/٦٣-٦٤)

– تشجيع الأسرة الدائم لأبنائها للابتكار ، فالفكرة الكبيرة تأتي من فكرة بسيطة ، والإبداع العالمي يأتي من إبداع محلي بيئي والصعود للآفاق العالمية لا يأتي فجأة ، وإنما يأتي بـــالجد والإصرار ، وكما قال أحد العلماء (أظن أن الإنسان يظل يسعى دائما للوصول إلى مستويات في الخلق والابتكارية تفوق مستويات الماكينات في ذلك) ، ولابد أن تعي الأســـرة أن الإنســـان هـــو الـــذي اخترع الماكينات التي حولها ، وأن ابنها ذو التفكير الابـــتكاري يستطيع أن يبتكر ما هو أكبر وأصعب مما حولها من آلات وماكينات وأجهزة تقنية مختلفة .

ومن هنا يتضح أن أسلوب السماحة هو الأسلوب الأكثر تناسبا مع الطفل لتنمية الابتكارية لديه ، عكس أسلوب التشدد وعدم الاتساق لأنهما غير ملائمين لهذا الغرض ، ولابـــد أن نعرف أن التكامل بين هذه العناصر الخمسة لأسلوب التنشئة الأسرية يساعد على خلق أجيال عديدة من الأطفال المبدعين والمبتكرين .

٤ ـ الأسرة والتطبيق العملي لتنمية الابتكارية لدى أطفالها :

وإذا نظـــرنا إلى جوانـــب وعناصر تنمية الابتكارية وتدعيم الشخصية الابتكارية في نفـــوس أطفالنا ، نجد أن الأسرة تتمتع بنحو أحد عشر عنصرا تطبيقيا تستطيع من خلالها تنمية التفكير الابتكاري والأداء الابتكاري والإبداعي لدى الأطفال ، وذلك من خلال ما يلي : (٥٨ / ١٢٩ وما بعدها) (٧٨ / ٣٥٤)

أولا : القيام بالتعليم غير المباشر للطفل : عن طريق استغـــلال الأحـــداث اليومية العادية : ويتضمن السياق الأســـري عديدا من العـــوامل المساعدة على تعليـــم الأطفـــال ، وربما كان الســـبب في ذلك هو أن الأسرة تستوعب في إطارها الكثيـــر من المناشـــط اليومـــية التي يقوم بها الأب والأم ، كما يقوم بها الإخوة ، ومن ثم فإنه بإمكان الأبوين توظيف المناشط في تعليم الأطفال .

ولبيان كيفيـــة حدوث هذا دعنا نفتـــرض أنك تضع كتابا في أحد أرفف مكتبتك وسألك صغيرك هذا السؤال (ماذا تفعل يا أبي ؟) ، فلابد من إخباره أنك تضع كتابا في مكتبـــتك . وقـــد يخبرك ردا على إجابتك هذه بأن هناك كتابا آخر تضعه على المكتب . وعلى هذا التعليق يمكنك أن تخبره بأنك قد تركت هذا الكتاب على المكتب لأنك تنوي قـــراءته بعد قليل ، وقد يخبرك ردا على إجابتك بأن هناك كتابا آخر في حقيبتك . وعلى تعلـــيقه هـــذا يمكـــنك أن توضح له بأنك تنوي أخذ هذا الكتاب إلى الجامعة أو المدرسة أو العمل لتقرأه هناك .

هـــذا الحوار إذا أدرته بينك وبين طفلك على هـــذا النحو يحتـــوي على الكثير من ضـــروب التعلم ، فقد يتعلم منه طفلك وظيفة المكتبة ، ووظيفة المكتب ووظيفة الحقيبة ، ووظـــيفة الكـــتاب ، كما قد يتعلم من هذا الحوار أيضا أن وضع الكتاب في مكان معين يحدد وظيفيا وقت التعامل معه ، وهذه خبرات ذات أهمية بالغة للطفل في مراحله العمرية المـــبكرة ، حيـــث تســـاعده على فهم البيئة المحيطة به ، ويعد هذا الفهم مدخلا أساسيا للارتقاء بقدرات الطفل المختلفة أيا كان نوعها .

ولكن هذه الخبرات إذا ما صنعتها على النحو السابق تنشط عند الطفل الإمكانات الإبداعـــية أيضا . ففي الحوار الســـابق الطفل يسأل وأنت تجيب ، وتلقيه إجابات على

تساؤلات يطرحها مما يشجعه على طرح تساؤلات أخرى عديدة ، وهذا هو ما يشكل إمكانات المبادأة عند الطفل ، ويشكل لديه أيضا محاولة فهم الواقع ، وكلاهما يعدان بمثابة عنصرين أساسيين من عناصر إطلاق التفكير الإبداعي والابتكاري .

وقد يبدو ضروريا الإشارة إلى أهمية أن يتحدث الأبوان مع الطفل عن النشاطات المختلفة أثناء قيامهما بها ، حتى وإن لم يفهم الطفل ما يقال ، فقد يساعد إرساء هذه العادة على إمكانية قيام الطفل بتفاعل مع الآخرين ينمي فيه ذاته ، وهذا على الرغم من أن الفرد قد يجد نفسه في البداية متحدثا طوال الوقت والطفل مجرد مستمع ، لكن سرعان ما نجد أن الأمور قد تغيرت وأصبح الطفل يشارك في الحديث. وبهذا يثرى عالم الطفل ، ويتعلم بشكل غير مباشر أن أي شئ يقوم به الفرد له هدف معين ، ومن ثم تستخلق دافعية الطفل وحماسته للقيام بالمهام المختلفة خاصة إذا ما أبرز الأبوان وهما يحادثان الطفل الأسباب القائمة وراء القيام بهذا الشيء أو ذاك .

هذه الخبرة التعليمية كما وضحت نجدها تتسم بالكثير من الخصائص الموجودة في سياقات تنشئة الأطفال المبدعين . فهي خبرة تتسم بالدفء في العلاقة ، وبالشحذ لقدرات الأطفال ، كما تتسم بالتوجيه والتعليم غير المباشر للطفل .. فهي لا تأخذ شكل التلقين كما تتسم أيضا بعدم التحكم أو السيطرة ، بل على العكس من ذلك فهي تؤكد استقلالية الطفل وفرديته وتميزه . فضلا عن هذا فهي خبرة ملائمة من حيث وفائها بمقتضيات حب الاستطلاع الملتصق بالأطفال في أعمارهم المبكرة .

ثانيا : لابد من الاهتمام بلعب الأطفال : فليست لعبة الأطفال وسيلة لشغل الوقت أو للتسلية فقط ، ولكنها قبل ذلك وسيلة تعلم ، فمن خلال اللعب يتفهم الطفل العالم المحيط به بطريقته الخاصة فكل طفل يتعامل مع لعبه بطريقة مميزة تعكس تصوراته الخاصة ورؤيته المحددة . كما أن هذه اللعب هي الوسيلة التي يتضح من خلالها الكشف عن اهتمامات الطفل في فترة مبكرة للغاية فنستطيع أن نعمقها وننميها لديه .

وعلى الآباء أن يضعوا في اعتبارهم عندما يختارون لعبا لأطفالهم أن تحكمهم قاعدتان بسيطتان للغاية :

(أ) أن يختاروا لعبا تسمح بإمكانية التعديل والتغيير فيها . فالمكعبات الخشبية ذات الألوان المختلفة ، والخرز الملون ، والطين والصلصال ، والصور غير المكتملة والتي يطلب من الطفل تكميلها لتصبح أشياء مختلفة هي نماذج من هذه اللعب لأنها تنشط خيال الأطفال ، أما اللعب الأخرى مثل لعبة تليفزيون أو قطار أو ما شابه ذلك من لعب فهي لا تنمي قدرات الطفل الإبداعية ، لأنها مجرد محاكاة لأشياء موجودة بالفعل وتحددت وظائف معينة لها ، ومن ثم فإنها لا تشحذ قدرات الأطفال .. وغالبا ما يضيق الأطفال بهذه اللعب بعد فترة قصيرة من اقتنائها . وكم يبدو غريبا أن تكون اللعب الأخيرة باهظة التكاليف واللعب الأولى رخيصة الثمن !

(ب) لا تلتزم تماما بالمدى العمري الذي تقتضيه اللعبة لمن يتعامل معها ، ولا يعني هذا بالطبع أن تأتي بلعبة ملائمة لطفل عمره عشرة أعوام في حين أن عمر طفلك سنتان . لكن ما نعنيه هو أن اللعب قد صممت لتلائم العاديين من الأطفال وليس للطفل المميز . ومن ثم فإنه بإمكانك أن تقتني لطفلك لعبا تتجاوز عمره عاما أو عامين لتحفزه وتثير اهتمامه ، خاصة إذا لمست في أدائه يسرا في التعامل مع اللعب المحددة لعمره .

ثالثا : لابد من قضاء بعض الوقت مع طفلك وهو يلعب : هناك أهمية قصوى لمشاركة الأبوين اللعب بين الحين والحين . وتعود أهمية هذا الأمر بوصفه تعبيرا عن دفء العلاقة بين الآباء والأبناء ، لكن إلى جانب هذه الوظيفة التي تنهض بها المشاركة فإن لها وظائف هامة أخرى في تنمية التفكير الإبداعي عند الأطفال الصغار ، فعندما نشارك الأبناء اللعب فإننا نوحي لهم بأهمية ما يقومون به من أداءات ، كما نوحي لهم بالثقة في أنفسهم ، فإن يجلس الشخص القدوة مع طفل صغير ويشاركه لعبه ، فإنما يشعر الطفل الصغير بأنه يمثل شيئا هاما في نظر هذه القدوة ، وهذا عنصر من عناصر المناخ الخصب للإبداع .

كما أنه بتشجيعك الأطفال وهم يشكلون على سبيل المثال قطعة من الصلصال على نحو معين ، فإنك تزكي دافعيتهم في اتجاه تحقيق المزيد مما يرضيك ، فإثابة الأبناء وتدعيمهم وهم يمارسون هواياتهم لهما تأثير بين على الأطفال من حيث تحقيق التمكن من الأداء .

رابعا : لابد وأن تكـــون قدوة إبداعية لأبنائك : بمعنى إمكانيـــة تعليـــم الأطفـــال الإبـــداع مـــن خلال الاقتداء . ويرجع هذا إلى أن الإبداع في جوهره ما هو إلا أســـلوب تفكـــير وأسلوب عمل ، وهو بحكم أنه أسلوب تفكير وأسلوب عمل فمن الممكـــن محاكاتـــه ، فقد أوضح كثير من العلماء الذين حققوا لأنفسهم في مجالات العلم المختـــلفة أهمية (أن تقليدهم في بواكير أعمارهم لخبرة العلماء المبرزين كان له أكبر الأثر فـــيما حققـــوه) ، فمـــن القـــدوات يتعلم الأطفال أسلوب التفكير وأسلوب العمل ، ويتعلمون أيضا الإحساس بأهمية العمل وتعبئة الجهد والطاقة .

ويستمد مفهوم الاقتداء من أنه بالإمكان حتى للأفراد الذين لا يؤدون سلوكا معينا أن يؤدوه عند مشاهدتهم قدوة يفعل ذلك .

والتســـاؤل الآن هو : كيف يمكن للآباء أن يأخـــذوا دور القدوة في هذا الصدد ؟ وقـــد يرتبط بهذا التساؤل تساؤل آخر يمكن للآباء أن يطرحوه وهو : هل نحن مبدعون لكي يقتدي بنا أبناؤنا ؟ .

والإجـــابة على هذين التساؤلين بسيطة للغاية ، فنحـــن جميعا مبدعـــون بدرجة أو بأخرى ، وبإمكاننا بقـــدر من التوجيه والمعـــرفة من خلال الاطلاع على بعض الكتابات الخاصة بالتفكير الإبداعي وكيفية تنشيطه أن نمـــارس ما لدينا من إبداع ونحن نتعامل مع أطفالنا .

ودعنا نفتـــرض على سبيل الإيضاح بمثـــال عملـــي ، أن طفلا يلعب بقطعـــة من الصلصال وأردنا أن نقضي مع أطفالنا بعض الوقت وهم يلعبون ، وأردنا أيضا أن ننصب أنفســـــنا قدوة يحتـــذونها ، بإمكاننا حينئذ أن نأخذ قطعة الصلصال ونقـــوم بتشكيلها تشكيلات مختلفة . تارة نصور بها نباتات وتارة نصور بها حيوانات وتارة أخرى نصور بها منازل وأبنية . وما علينا إلا أن نستحث الطفل بشكل مباشر أو غير مباشر على أن يفعل نفس الشيء .

هـــذا الذي نفعله أداء إبداعي . فعند تشكيل قطعة الصلصال في صور مختلفة فهذه طلاقـــة وعـــندما تأخذ التشكيلات صورا متباينة تعد من فئات مختلفة من الأشياء فهذه

مرونة . وعند تشكيل قطعة صلصال في صورة متميزة غير مألوفة كأن تصور مثلا بركانا ألقى بحممه فهذه أصالة .

هذا مثال من كثير يمكن القيام به مع الأطفال ، وفيه نأخذ دور القدوة . ويأخذون هم فيه دور المقتدي والمحاكي لأساليب إبداعية .

خامسا : ضرورة تمكين الطفل من التحرر من الاعتمادية : إن الاتجاه الغالب عند معظم الآباء وخاصة في مجتمعنا هو أننا نظل نتعامل مع الأبناء مهما كبروا في السن على أنهم ما زالوا أطفالا ، فنحن نوجههم في كل صغيرة وكبيرة . وربما يكون هذا الاتجاه امتدادا لكيفية تعاملنا مع أبنائنا ، وهم في شهور عمرهم الأولى ، فنحن نهرع إليهم ملبين احتياجاتهم دون أن نشركهم بجهد ، وعادة ما يستمد أبناؤنا هذا الاتجاه من جانبنا ، حتى بعد أن يصيروا رجالا ، فليس هناك أيسر من الاعتماد على الآخرين ، ومن ثم النفور من المسئولية .

والاعتماد على الآخرين والنفور من المسئولية لا يمكنان الفرد على الإطلاق من أن تكون له رؤية خاصة في المواقف التي يمر بها ، فغالبا ما يجد نفسه أسير رؤية الآخرين وأسير مفاهيمهم ، ومن الطبيعي أن يجهض هذا الاتجاه الإمكانية الإبداعية عند الفرد .

والاتجاهات التي يكونها الأفراد ليست وليدة عشية وضحاها ، بل تتخلق على امتداد سنوات طوال من التنشئة ومن ثم يحسن البدء بغرس الاتجاهات الميسرة لتوظيف الإمكانية الإبداعية منذ السنوات الأولى من العمر .

ويقتضي هذا من الآباء أن يثقوا في أطفالهم ويشجعوهم منذ السنوات المبكرة لأن يؤدوا بأنفسهم كل ما هو بإمكانهم أن يؤدوه ، ويصبح دور الآباء في هذه الحالة دور الميسر للأداء والمعين على تأديته بدلا من دور المنفذ لكل ما يريده الطفل .

سادسا : اسمح للطفل أن يطرح من التساؤلات ما يشاء : إن الإبداع في كافة صوره ما هو إلا محاولة للإجابة على تساؤلات ، يستوي في هذا الإبداع في مجال العلم أو الأدب أو الفن . وقد يبدو غريبا مع هذا أن نجد الآباء يضيقون بتساؤلات أبنائهم .

وللآباء في مجتمعنا بعض العذر في هذا حيث لا تتوافر لهم مثل نظرائهم في المجتمعات الغربية معرفة علمية مكتوبة يسهل استيعابها ، عن الكيفية التي يتعاملون بها مع تساؤلات الأطفال وهذه إحدى المسئوليات الملقاة على عاتق الإعلام وعلماء السلوك والتربية .

ولـذا فإنا نوصي الآباء بألا يضيقوا بتسـاؤلات أبنائهم .. بل ومـن الواجب أن يشجعوهم على طرح المزيد منها . وإحدى الوسائل التي يتم بها هذا هي أن يتبادل الآباء مـع أبنائهم التساؤلات . فإذا ما سأل الطفل أباه سؤالا كهذا (كيف أجد هذه السيارة (لعـبة) تسير ؟ ، فليكن رد الأب بسؤال آخر (وماهو رأيك أنت في كيفية سيرها؟) ، وإن سـأل الطفل (هل من الممكن لهذه السيـارة أن تطير ؟) فليكن رد الأب (كيف يكون ذلك ؟) .

ويلاحظ أن عددا ليس بقليل من التساؤلات التي يطرحها الطفل موجهة إلى جذب انتباه الأبوين أكثر منها معبرة عن حب الاستطلاع لديه ، ومع ذلك فإنه لا غضاضة على الإطلاق أن يتعامل الأبوان مع هذه التساؤلات على أنها كاشفة عن حب الاستطلاع عند الأبـناء ، فمـا نـريد أن نؤكـده هنا هو ألا نجعل الطفل يتردد أمام سؤال يريد طرحه وخصوصا على الأبوين .

سـابعا : تقبل الأفكار الغريبة من طفلك ولا تضق بها : كثيرا ما نلاحظ في أثـناء حديـث الأطفـال مع أبويهم أنهم يقومون بإحداث تغييرات في قصص سبقت روايـتها لهم ، وعندما يقوم الأطفال بهذا عمدا فمقصدهم منه خلق المداعبة مع أبويهم ، ولا بـأس أن نتقبل منهم هذا مادمنا نوقن بيننا وبين أنفسنا أنهم يغيرون عمدا في تفاصيل القصـص لـيجعلوها مختلفة ، لكن علينا في هذه الحالة أن نساعدهم على جعل القصص منطقية حتى بعد إجرائهم التعديل عليها .

ثامنا : ساعد الطفل على أن تكون لـه مقتنيات وأشياء خاصة تتعلق باهـتماماته : إنهـا إحـدى مسؤوليات الآباء أن يساعدوا أبناءهم على اقتناء الأشياء المـتعلقة باهـتماماتهم ، فـالطفل الذي يكشف عن اهتمام بالموسيقى يستوجب منا أن نسـاعده بتوفير الآلة الموسيقية التي يرغب في العـزف عليها ، مثل هذه المقتنيات تكون بمثـابة دعم لاهتمامات الطفل وتنمية لموهبته .

ومـــن شأن تجاوبنا مع اهتمامات الطفل على هذا النحو أن يزكي في نفسه ضرورة إحـــراز تقدم في مجال اهتماماته ، لأنه سيقرن بين نفسه ومجال الاهتمام ، وهذه هي أولى المراحل لتحقيق الذات في أي مجال من مجالات الإبداع .

تاسعا : ســـاعدوا الأطفال على أن يستكشفوا بأنفسهم العالم المحيط بهم :

لعـــل من قبيل الاتجاه السائد لدى الآباء ألا يجعـــلوا الأطفال يستكشفون العالم المحيط بهم بقـــدر ما يجعلونهم يرون هذا العالم من خلالهـــم كآباء ، فهـــم يحدثون أبناءهم عن بعض الحـــيوانات مثلا دون أن يمكنوهـــم من رؤيتها ، كما يحدثونهم عن بعض الآثار دون أن يتيحوا للأطفال مشاهدتها .

وليس بالشيء الخاطئ بطبيعة الحال أن يطلع الآباء أبنائهم على العالم المحيـــط بهم .. لكن الخطأ هو أن تقتصر رؤية الأطفال للعـــالم على ما يقدمه الآباء لهم ، فمـــن الواجب علـــيهم أن يمكنوا أطفالهم من مشاهدة العالم المحيط بهم بأنفسهم ويكونوا انطباعات خاصة عنه ، ففضلا عن أن هذا من شأنه أن ينمي اتجاه الاعتماد على الذات في استكشاف العالم المحـــيط بهم ، فإنه ينمي لديهم القدرة على استيعاب هذا العـــالم على نحو مميز (وهذا هو أحـــد مقومات الإبداع) ، فنحن لا نتماثل في رؤيتنا للعالم المحيط بنا ، حيث أنه بإمكان الشيء الواحد أن يترك تأثيرا مختلفا عند الأفراد .

عاشرا : تهيئة الظروف المناسبة لتمكين الطفل من أن يتعامل مع خياله :

تمثل ممارسة الخيال بالنسبة للفرد المبدع وسيلة هامة من وسائل ممارسة وإعمال فكره الإبداعي . والخيال بحاجة إلى تدريب لكي ينمـــو عند الفرد ، ومن ثم لابد من التشجيع علـــيه منذ الصغـــر ، والألعـــاب التي تقدم للأطفال وخاصة التي تشحذ التفكير ما هي إلا وسيلة من الوسائل الممكنة من ممارسة الطفل لخياله .

هذا ويوصي بالفنون البصرية عامة والرسم خاصة كإحـــدى الوسائل التي يمكن بها ممارســـة الخيال ، ويلائم الرسم بصفة خاصة الأطفال ، فهو يسمح – إذا ما قام به الطفل دون أي تأثير خارجي أو إيحاء – بأكبر قدر من حرية التعبير .

ولكـــي يمكن للرسم أن يقوم بدوره في إعمال خيال الأطفال فلابد من التخلص من فكرة النسخ من صورة تقدم للطفل أو من فكرة تلوين صورة تقدم له ، فليس هناك أسوأ مـــن هذا عملا إذا ما كان المراد تنمية التفكير الإبداعي عند الأطفال ، ويرجع سوء هذا الأسلوب إلى أنه يفقد الطفل تلقائيته في عملية الرسم .

وقـــد يثار في مواجهة هذا النقد ســـؤال وهو : كيف يمكن إذن أن ندرب الأطفال عـــلى الرسم ؟ والرد على هذا التساؤل هو أن التدريب على الفن لا يعني أن تخبر الطفل بمـــا يجب عليه هو نفســـه عمله وكيف يعمله ، فقد يكون من المناسب لسنوات ما قبل المدرســـة أن نوحـــي للأطفال بموضوع عام وليكن (حفلة شاي) مثلا ونطلب منهم أن يعـــبروا عـــنه بالرسم ، وبعد أن يقوموا بهذا نقدم لهم إرشاداتنا في صيغة تشجيع وإثابة ، وملحوظات غير مباشرة عند تقييم إنتاجهم الفني .

حـــادي عشر : لابد من الارتقاء بالذوق الجمالي عند الأطفال : نحـــن كآدمـــيين نعايش الابتهاج عند مشاهدة الجمال على أية صورة كان ، فنحن ننجذب إلى مـــا هو جميل وننفر مما هو قبيح ، وهذا الإحساس الجمـــالي بحاجة لأن ينمو ويزدهر لكي يعمق ما لدينا ويتأصل ، وهذه إحدى مهام الأسرة بالنسبة لأطفالها ، ويمكن للأسرة ممثلة في الأبويـــن أن تقـــوم بهـــذا مـــن خلال اصطحاب الأطفال إلى معارض الفنون المختلفة ومناقشـــة مـــا يعـــرض فيها ، كما أنه بإمكانها أن تفعل هذا من خلال مشاركة الطفل إحساسه بالمتعة وهو يقوم بشيء يرضيه ويمتعه .

★★★